

ولاية الثالثة

الصفير للعدوان الذي تراجع عنه لاحقاً، كان الاسد، حتى اللحظات الاخيرة، يتصل سائلاً عن العاملين معه مطمئناً عليهم فرداً فرداً. وحين استهدف تفجير احد المقار رئيس جهاز أمن الدولة سابقاً (رئيس مكتب الامن القومي حالياً)

اللواء علي المملوك، كان الاسد اول المتصلين والناصحين بعدم خروج المملوك خشية تفجير ثان. الأمثلة متعددة، ولا احد يملك جواباً شافياً عن سبب هذا الهدوء. كانت عوامل الثقة واليقين خلال الحرب نادرة. مع ذلك، بقي الاسد

يقول ان سوريا تتعرض لمؤامرة خارجية، وان الارهاب سينتشر ويعود ليفجر من حيث انطلق. يشعر اليوم بأنه كان على حق. «الغرب تبني ولو متأخراً ما كنت أقوله منذ خطابي الأول بعد الأزمة لأنه شعر بأن النار تمتد الى ارضه»

معزياً بشقيق الرئيس، وكيف صالح احد اكبر الضباط السوريين الذي كان مسؤولاً في لبنان اثناء انتفاضة عون ضد سوريا. «مذاك كشف عون عن طينة رجل نزيه وشريف خاصم بشرف وتصالح بشرف وبقي وفياً لموقفه حيالنا، رغم كل العواصف والإغراءات. نحن لا نتدخل في شأن اي دولة عربية، لكننا نرحب بانتخاب عون رئيساً لما فيه مصلحة لبنان أولاً ومصالح علاقات الأخوة. ونعرف عنه انه وطني لا طائفي ومؤمن بالمقاومة والعروبة».

لا يدون الاسد مذكراته. لكن تبدو ذاكرته حافظة لتفاصيل كثيرة، حتى ولو فضل الكلام الاستراتيجي. أفكاره تذهب نحو عشرات الأسئلة، لكنه يوحى بأنه يهتم بسؤال واحد. تشبه طريقة كلامه السريعة حركته الدائمة، ان لم يكن باليدين فبحيوية الجلسة. لا شيء يناقض حيوية الحديث سوى هدوء الرؤية. يبدو، أكثر من اي وقت سابق، واثقاً بأن «النصر حتمي حتى ولو تطلب وقتاً». يشرح كيف شرعت الدولة في وضع خطط لإعادة الاعمار وإعادة النازحين والاهتمام بمعيشة الناس واقتصادهم في المرحلة المقبلة. يبدو الاسد في مستهل ولايته الثالثة وكأن الجزء الأكبر من الحرب صار خلف ظهره. لعل المرحلة المقبلة ستؤكد ذلك خصوصاً بعد السيطرة القريبة على حلب. حين تصبح المدن الكبرى بيد الجيش تبدأ الورشة الحقيقية «لإعادة سوريا افضل ما كانت».

ليس بالصدفة ان يرى زائر دمشق كثيراً من الياقات حاملة اسماء شركات دمشقية عريقة. واضح ان رأس المال السنني سيكون له دور أساس في إعادة البناء تماماً كما «ان كل الطوائف ساهمت في الدفاع عن الوطن لمنع الطائفية من تدمير هذه الدولة العلمانية». لا يرى الاسد اسباباً طائفية للحرب، حتى ولو ان بعض الاعلام غالى في فبركات صور طائفية. الأمثلة كثيرة، تتعاقب في كلام الرئيس، ولعل أبرزها «هجمة التكفيريين والإرهابيين على المعتدلين من أهل السنة وأهل الصوفية العريقة».

أمل الاسد كبير وأصوات المدافع كثيرة. واضح ان بداية الولاية الثالثة ستكون سباقاً بين الأمل والمدافع. لكن أمل الرئيس بأن الحرب ستنتهي حتماً. لولا هذه الأصوات لبدت دمشق بزحمة سيرها وناسها وحضور الدولة فيها وانتعاش مطاعمها كأنها استعادت حياتها الطبيعية. لا بل والطبيعية جداً.

شيء، لأنها ببساطة لم تعد تمون على شيء. ليست لها علاقة لا بالناس ولا بالأرض. بيعت لها أوهام من دول غربية وعربية فباعته الناس أوهاماً. جاءت الانتخابات لتعزّيها. ما بعد الانتخابات ليس كما قبلها. الناس قالوا رأيهم وعلينا احترامه». ماذا عن جنيف إذا؟ «انتهى لأن الظروف تغيرت».

الأخضر الابراهيمي محور الشك

ينساق الحديث صوب وساطة الاخضر الابراهيمي. تميل عينا الاسد صوب العبوس وشيء من الغضب. المنعوت الدولي كان قال لتوه كلاماً عن احتمال تحول سوريا الى دولة فاشلة او الى صومال ثانية. تعود الذاكرة الى

السعودية الأكثر عداء لسوريا بعد اسرائيل والدوحة أرسلت إشارات تغيير والعبرة في التنفيذ

ثالث لقاء بين الاسد الابراهيمي في كانون الأول 2012 حين جاء ناصحاً بالتنحي. يبدو لسامع الاسد ان الابراهيمي لم يكن يوماً وسيطاً نزيهاً، ليس الآن فقط، ولكن حتى خلال الحرب على لبنان. ثمة شكوك تصل الى أسباب التعيين الدائم لابراهيمي في المنظمة الدولية. لا يمكن لعربي ان يحتل مثل هذه المناصب طويلاً من دون رضی أميركي. ولا يمكن لأميركا ان ترضى على من يكون صديقاً لدولة مقاومة كسوريا. على السامع ان يستنسخ ماذا يعني هذا الكلام.

عون النزيه

عند الاسد ميل دائم صوب الحديث الاستراتيجي أكثر من التفاصيل رغم إلمامه بأدقها. لعل لبنان صار تفصيلاً أمام التحولات الدولية الكبيرة. الحليف الدائم والأهم السيد حسن نصرالله هو الأساس. «لم يعبر السيد نصرالله يوماً سوى عن تعاطف ودعم لن تنساه سوريا ولا السوريون. ما يراه السيد في لبنان نراه». في هذه النظرة كثير من العاطفة الشخصية وفيه واقعية التحليل. خيارات الحليف المقاوم «صبت في سياق وقف الارهاب من لبنان او التخفيف منه الى أقصى حد رغم الانقسام الداخلي». يبدو الجنرال ميشال عون الأقرب الى قلب الاسد وذهنه في معركة الانتخابات الرئاسية. ثمة روايات تنعش ذاكرة الاسد في الحديث عن عون، بينها موقف الجنرال حين جاء

”

“

ما يراه السيد في لبنان نراه ونرحب بانتخاب عون رئيساً لمصلحة لبنان وسوريا (أرشيف)



وحيث تنتصر سوريا فان العرب جميعاً والمقاومة يكونون قد أوقفوا احد اخطر المشاريع على منطقتهم».

ماذا عن معارضة الخارج؟ لم يتغير جواب الاسد الذي كان قد استقبل لتوه منافسه في الانتخابات حسان النوري. «نحن قلنا اننا مع الحوار وحاورنا أسوأ المسلحين. ولكن ماذا سيقدم الحوار مع معارضة الخارج. لا

دعم الارهاب في سوريا هو الذي يدفع الاسد الى عدم المغالاة في تحديد موعد لنهاية الحرب. يدرك «اننا أوقفنا المؤامرة على الصعيد الاستراتيجي، وان الدولة ستنتصر حتى ولو تطلب الامر وقتاً للقضاء على كل الإرهابيين. لكن تحديد وقت لنهاية الحرب غير منطقي الآن. الأهم هو ان القيادة والجيش والشعب صاروا على يقين مطلق بأن النصر أت».

المهم ان توقف السعودية وقطر وتركيا وفرنسا والغرب الاطلسي دعم الارهاب اذا كانوا فعلاً يريدون تغييراً».

لم يتغير الموقف التركي بعد. لكن الاسد مدرك ان الحركة الإيرانية صوب انقرة «لا يمكن ان تستبعد السعي الإيراني لوقف الدعم التركي للإرهاب، وقد كان ذلك واضحاً من خلال كلام الرئيس روحاني».